الفاء الفصيحة

دلالاتها واستعمالاتها وتاريخها وضوابطها

أ.م.د. عبد العزيز صافي الجيل

تأريخ التوقيع: 2/12/2012
تاري欣 القبول: 2/1/2013

المقدمة:
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيّدنا
محمد، وعلى آل وصحابته أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:
فإن مصطلح "الفاء الفصيحة" قد ورد الكلام عليه في كتب التفسير، وشرح الحديث، وكتب البلاغة، والناحية إلا أنّ ما تثبت مجزأ مثنويا هنا وهناك فيها لا يروي غلّة، ولا يشيء صدى؛ لأن الحديث عنه- بالإضافة إلى كونه متنايرا- قد جاء مقتضاٍ حينا، وغير محرز حينا آخر.

وهذه الفاء لم تجد من سماها بهذا الاسم قبل جار الله الزمخشري، على الرغم من بذل الجهود، وطول البحث في المراجع العربية والإسلامية المختلفة.

وكشف عن حقيقةها، ووضع ضوابطها، وفرز بينها وبين الفاءات الأخرى وأمّا من المفسّرين فلم أر من تتبّع مواردها في كتاب الله تعالى كالإمام الألوسي في تفسيره روح المعاني، ويليه في العناية بها أبو السّعود في تفسيره المسمى
"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم".

ولما جاء الشّيخ محمد الطاهر بن عاشور علاءً هذا العصر، وشيخ جامع الزّيّونة الأعظم، صاحب تحرير المعنى السّديد، وتوويز العقل الجديد، من تفسير المملكة العربية السعودية/ الرياض. *
الفاء النصية دلالاتها واستعمالاتها وتاريخها وضوابطها

الكتاب المميز" الذي اختصره باسم "التحرير والتنوير" وقال عنه: "فيه أحسن ما في التفسير وفيه أحسن مما في التفسير (1) تتبع موارد هذه الفاء في القرآن الكريم، فرثها، ورسم حدودها، وضبط شروطها، وآبان عن دقائق استعمالاتها، ومازها من غيرها، ومنذ إلى ما ذكره الأقدمون فهذيه، وحرره، وزاد عليه.

وفي هذا العصر أيضاً لقي مصطلح الفاء النصية عناية جدية جاذبة من العلامة الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة في موسوعته القيمة "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" فحاول جمع ما تفرق حول هذه الفاء من بطون الكتب، إلا أنه لم يستوف الحديث عنها؛ لضخامة المشروع الذي حمله على عاتقه، وهو مشروع عظيم - بمقاييس المختلفة - ينوب بحمله الجميع من العلماء.

وأشهد أن كتابه كان حصاد سنين من العمل الدؤوب، والبحث المضني، والتقييم الواعي في كتب الأقدمين.

ثم جاء الدكتور شرف الدين الراجحي فألف كتابه" الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم " ومنهجه الذي أتبعه يقتضي أن يستوفي الحديث عن هذه الفاء النصية، وأن يعطيها ما تستحق من الدراسة، لكنه لم يخصصها حتى بعدوان، وجاء حدوثها منها عرضًا، في أثناء كلامه عن قضية حذف الفاء في التنزيل، والعزيز وفي كلام العرب، فقال: "أما حذف جواب الشرط أو تقديره، ووجود الفاء في فيه تفصيل (2)، ثم كرز ما قاله الشيخ عضيمة تقريباً، واكتفى بسرد بعض الآيات التي وردت فيها الفاء النصية.

---

(1) التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي - تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ: 8/1.
(2) الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم - د. شرف الدين علي الراجحي - الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1995م: 120.
وهذا الأمر دعائي للكتابة في هذا الموضوع الدقيق، لاستيفاء الكلام على هذه الفاء، والبحث في حقيقتها، وشروطها، وضوابطها، متنبأًا ماردها، وأقوال العلماء فيها(1).

وزادني رغبة في استجلاء حقيقتها، والوقوف على أهم ما كتب عنها أمور منها: 1 - أن مصطلح الفاء الفصيحة لم يرد له ذكر ألبِنَة في كتب معايي الحروف: كحروف المعايي والصفات لرِجَاجي، ومعاني الحروف للرِجاجي، والأزهية في علم الحروف للهروي، ووصف المباني في شرح حروف المعايي الماليقي، والجني الذي في حروف المعايي المرادي، ومعنى اللبيب لابن هشام الأنصاري. 2 - الخلط بينها وبين الفاء الأخرى، كما سيتضح لاحقًا، فهي تطلق عند بعضهم على الفاء العاطفة المفيدة لمعنى السببية حينا، ولمعنى الترتيب حينا آخر، وقد تطلق على الفاء الواقعة في جواب الشرط، وربما سوّى بعضهم بينها وبين الفاء الترميي، فلما يَر بينهما فرقًا، وهناك من أطلقها على الفاء الرائدة؛ لهذه الأسباب وغيرها أعدت هذا البحث لعلّه يسهم في تحليلة حقيقة الفاء الفصيحة، خدمة لهذه اللغة الشَريفة.

تعريف الفاء الفصيحة:

الفاء حرف من حروف المعايي، واعتماد التانين في "فصيحة" باعتبار الحرف كلمة.

وهى "فصيحة" لأنها تفضح وتكشف عنّا قبلها وتدلّ عليه، أو لأنها تدلّ على فصاحة المتكلم بها، فوصفنا بالفصاحة على الإسناد المجازي(1)، إذ يسعد الفعل أو (2) هواه الأدباء وشوارد الأفكار - السيوطي: 245/35
ما في معناه إلى سببه... ولأنها سبب في قضاة صاحبها فقد نسب إليها وصف الفضالة الذي هو بالأصل وصف لصاحبه، من باب المجاز العقلية (1).

ومعنى الفضالة البيان، يقال: فضح الرجل، قضاء سباحة فهو قضاء من قوم قضاء
وفضالة وقوفة. وامرأة قضاء من نسوة قضاء وفضالة (2).

وفضالة قافية بمعنى فاعلة كشيئية بمعنى شاهدة، وعملية بمعنى حالة، أو
فضالة بمعنى مقصورة كقصيرة بمعنى مبصورة، وشعيرة بمعنى مشعرة.

ذكر العلماء تعريفات وأوصفاء نحوية لهذه القضاء القافية، أبرزها هذه الثلاثة:

قول الزمخشري: "ووفيتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام" (3). أي أن هذه القضاء
تكون في جواب شرط محدود يدل عليه سياق الكلام، وظاهرة كلامه أنها لا
تسمى فضالة إلا إذا وقعت في جواب شرط محدود مع أداته.

1- وقال الكلوي: "هي التي يحذف فيها المعطوف عليه مع كونه سابقا للمعطوف من

غير تقدر حرف الشرط (4)".

فهو يرى أن المعطوف قبلها ينبغي أن يكون معطوفا عليه، وليس شرطا، وأن
يكون سابقا للمذكور بعدها. لذلك قال: "ولا تسمى فضالة إن لم يحذف المعطوف
عليه" (5). وقال أيضا: "إن كان المعطوف شرطا (أي جواب شرط متفرق بالفاء) لا

(1) ينظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المنتج - بهاء الدين السيسي، تحقيق: د. عبد
الحميد هنداوي - بيروت: المكتبة المصرية 2009، ص 143، 198، 199،
(2) واحشية الشيخ مسلوب استمارة من شرح التصريح (مطبوع مع شرح التصريح ) - يس الحمصي -
(3) بيروت: لبنان: دار الكتب العلمية، 1421هـ- 2000م. الطبعة الأولى: 153/2، 154
(4) لبنان العرب مادة (فصيح)
(5) الكتاب: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد,
(6) الكلمات معجم في المصطلحات والظروف اللغوية - أبو بحبيس موسى الحصيني القردوي، أبو
البياض الحنفي، تحقيق: عدنان دويش، محمد المصري - بيروت: مؤسسة الرسالة 176.
(7) نفسه

36
تسمي فصيحة أيضاً، بل تسمي جزائية سواء حذف المعطوف عليه أم لم يحذف (١)، ثم قال: وقّال بعضهم: هي داخلة على جملة مسببة عن جملة غير مذكورة (٢).

٢- وقال الشّيخ خالد الأزهري: "وتسّمي الفاء العاطفة على مقتدر فصيحة (٣)، هكذا من غير تحديد، سواء أكان المحتوى المقتدر معطوفاً عليه أم فعل الشرط، وأداته والشاهد المشهور عند العلماء من القرآن الكريم في قوله تعالى: (وإذ استَسَّطِن موسى لقومه فَقَلَنا اضْرِب بِعَصَاكَ الْحِجْر فَانفِجرَت مَنْهَا أَنْتَا عَشْرَة (٤) فقد قالوا: إن الفاء في مثل قوله "فانفجّرت" تسمى فصيحة؛ والتقدير عندهم، إما: فضّرّبه بها فانفجّرت، أوما: فإن ضربت بها فقد انفجّرت (٥). قال ابن عاشور:"

وأما تقدير الشرط هنا أي فإن ضربت فقد انفجّرت إنّ فغير بين، ومن الموجب ذكره في الكشاف (٦)، قلت: لأنه يلزم على هذا التقدير أن يكون الجواب ماضيا لفظاً ومعنّي، وجواب الشرط هنا لا يجوز أن يكون ماضيًا المعنى؛ لأنِّ الانفجار متّرّب على الضرب المستقبل بأداء الشرط (٧)، اللهم إلاّ أن يكون ذلك على معنى: فقد حكمنا بأنّها انفجّرت.

____________________________

(١) نفسيه
(٢) نفسيه
(٣) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو - خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، يعرف بالوقاد - بيروت-لبنان : دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. - الطبعة الأولى: ١٨٦/٦٠
(٤) سورة البقرة، الآية ٦٠
(٥) ينظر المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم - سعد الدين التفتاتي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي - بيروت، لبنان : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧. - الطبعة الثانية، ٧٨٨-٥٨٤
(٦) التحرير والتوضير: ٥١٩/١
(٧) ينظر البحر المحيط في التفسير - أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صديق محمد جميل - بيروت : دار الفكر، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠١م، ٣٦٩/١
وأشهر أمثلة الفاء الفصيحة من كلام العرب، قول الشاعر (1):
قالوا: خُرَاسان أقصى ما يُرادُ بنا، ثُمَّ الْفَقْعُ فَقَدْ جَنَّتَا خُرَاسانَا (2)
وسيأتي المزيد من الحديث عن هذا الشاهد لاحقاً.

عرض هذه التعرفات ومناقشتها:

إن حذف الشرط مع الأداة كما أشار إلى ذلك الزمخشري في التعرف:
الأول من أحاصل الحذوف عنه (3) ولفاء التي تكون في جواب الشرط المقتدر مع
الأداة لا تقع إلا في كلام يبلغ حسب رأيه (4).

وقد تحدث عن حقيقة هذه الفاء - بعد أن استشهد بقوله تعالى: {لقد لبنت في كتب
الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون (5)}، وقال الشاعر:
قالوا: خُرَاسان أقصى ما يُراد بنا، ثُمَّ الْفَقْعُ فَقَدْ جَنَّتَا خُرَاسانَا -

قال: فإن قلت: ما هذه الفاء؟ وما حقيقةها؟ قلت: هي التي في قوله:
فقد جَنَّتَا خُرَاسانَا ... وحقيقةها: أنها جواب شرط يدل عليه الكلام، كأنه قال: إن صح
ما قلت من أن خُرَاسان أقصى ما يُراد بنا فقد جَنَّتَا خُرَاسانَا، وأن لنا أن نخلص، وكـذَلـك
إن كنت منكرين البعث فهذا يوم البعث، أي فقد تبين بطلان قولكم (1).

ووهذا لا يعني أن الزمخشري ينكر تقدير المعطوف عليه، ولا يقول إلا يتقدير
الشرط، بل يدل قوله في الآية السابقة: {فانفرجت}، الفاء متعلقة بمحدود، أي فـضـرب

(1) هو العباس بن الأخنف
(2) ينظر دلائل الإعجاز في علم المعاني - عبد القاهر الجرجانى، تحقيق: محمود محمد
شاكر أبو فهر - لقاهرة: مطبعة المدنى، 1413هـ - 1992م، الطبعة الثالثة: 90
(3) الكشف: 2/23
(4) نفسه: 284/1
(5) سورة الروم، الآية 56
(6) الكشف: 3/487

38
فانفجرت، أو فإن ضربت فقد انفجرت (١)" فجوؤت التقديرين، وإنما يبدو أن الفاء لا
تسمى عند فصيحة إلا إذا كانت في جواب شرط محذوف مع الأداة؛ قال العلامة
النفتياري: "وظهر كلام الكشاف أن تسميتها فصيحة إنما هي على التقدير الثاني،
وهو أن يكون المحذوف شرطاً (٢)" لذلك قال الزمخشري عندها"هي التي في قوله:
فقد جئت خراسانًا ... " ولم يقترب قبل هذه الفاء إلا شرطاً كما رأينا، ثم قال:
"وفيقيقها: أنها جواب شرط يدل عليه الكلام.
وقد وافق ابن كمال باشا الزمخشري على رأيه هذا؛ قال: "إذا كان ما قبل
الفاء شرطاً مقتراً لما بعدها المذكور تسمى فاء فصيحة (٣).
لكن أبا السعود العمادي رأى أن تقدير المحذوف شرطاً غير حقٍّ بجلالة شأن
النظام الكريم (٤).
وهناك من قال: "إذا تدل محذوف قبلها فإن كان شرطاً (أي فعل الشرط
واداته) فلفاء فداء الجواب، وإن كان مفردا فالفاء عاطفة ويشملها اسم فداء
الفصيحة. وهذه طريقة الجمهور على الوجهين فتسُبيها بالفصيحة لأنها أصحبت
عن محذوف (٥).
لكن ثابتٌ أن ابن كمال باشا الزمخشري ومن ناحية نحواً؛ لأن حذف
الشرط مع الأداة غير جائز في كلام العرب، حسب رأيه ؛ فقال: "وأما حذف
فعل الشرط وأدائه الشرط معًا، و إبقاء الجواب، فلا يجوز إذ لم يثبت ذلك من كلام

(١) الكشاف: ١٤٤/١
(٢) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٤٨٩
(٣) أسرار النحو- ابن كمال باشا، تحقيق: د. أحمد حسن حامد - عنوان: دار الفكر: ٢٨٨، ٢٨٩
(٤) يعتبر تقسيم أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - أبو السعود
العمادي محمد بن محمد بن مصطفى - بيروت: دار إحياء التراث العربي: ١٠٦/١
(٥) التحرير والتنوير: ٥١٩/١
(٦) أبو حييان معروف بتحمله على الزمخشري، ربما بسبب اعتزاله
العرب(1)». وقال في موضع آخر: "فما ذهب إليه فاسد في التركيب العربي، وفاسد
من حيث المعنى، فوجب طرحه، وأين هذا من قوله: وهي على هذا فصيحة
لا تقع إلا في كلام بليغ؟(2)».

ولم يوافق ابن هشام أبا حيان على رأيه هذا، بل ذهب إلى أن حذف المسـتـر
مع الأداة مطرد بعد الطلـب، كما جاء بدونه أيضاً(3)، بل قد تحذف الأداة مع فـعل
الشـرط وزجائه، كما في قوله تعالى: ( وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قـل
أتخذتم عند الله عهدًا فلن يخفف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون(4).
قال ابن عاشور: "وقوله ( فلن يخفف الله عهده ) الفاء فصيحة دالة على شرط
مقدر وزجائه. وما بعد الفاء هو علة الجزاء، والتقدير فإن كان ذلك فلكم العذر في
قولكم لأن الله لا يخفف عهده(5).

وما قاله الكوفي في التعريف الثاني هو ظاهر ما ذهب إليه السكاكي من قبل؛ إذ لم
يقتـرـ شرطًا قبل الفاء، وإنما أقتـرـ مطروفاً عليه؛ فالفاء الفصيحة عندهـ كما يـبدوـ هي
العـاطفة العـاطفة عـلى مـطروفاً عليه مـحتوى تفصـيح يـعنـه وقـيدهـ، فـقد قـال: "إنا نظر إلى
الفاء التي تسمى فاء فصيحة في قوله تعالى: ( فتوبوا إلى بارئكم فاقتلاوا أنفسكم خير
لكم عند بارئكم فتاب عليكم ) كيف أفادت: فانتقلت فتاب عليكم، وفي قوله: ( فقلنا اضـرب
بعـضاك الحجر فانتفرجت ) مـفيدة: فضرب فانفرجت(1).
قلت: سببته إلى هذا التقدير أبو زكريّا الفراء، فقال: "معناه - والله أعلم - فضرب فانفجرت، فعرف بقوله: فانفجرت. أنه قد ضربًا، فاكتفي بالجواب؛ لأنه قد أدى عن المعنى، فكذلك قوله: {إن اضرب بعصاك البحر فانقل}، ومثله (في الكلام) أن تقول: أنا الذي أرميتك بالتجارة فاكتسبت الأموام، فالمعنى فنجرت فاكستيت)."\\n\\nوهذه الآية الأخيرة التي استشهد بها السكّاني أصبحت كالم علمنا على القاء الفصيحية من بين آيات الذكر الحكيم الكثيرة التي وردت فيها هذه القاء، فإن أغلب الذين وقفوا عند القاء الفصيحية من النحاة والبلاغيين والمفسرين ذروا هذه الآية الكريمة في شواهدهم، وتقدير السكّاني هذا هو تقدير الفراء(1) من قبل كمالت، وهو تقدير ابن جني(3)، وابن عصافور(4)، وابن أبي الربيعة(5)، وابن الشجيري(6)، وأبي حيّان الأندلسي(7)، والنسرين الحلبي(8)، والقرطبي(9)، وأبي السود(10)، وغيرهم.\\n\\n(1) معاني القرآن- أبو زكريّا يحيى بن زيد بن منظور الديلي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي- محمد علي النجات- عبد الفتاح الشلبي- مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة-الطبعة الأولى: 1/0/0.
(2) معاني القرآن: 1/0/0.
(3) الخصائص/أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب- الطبعة الرابعة: 1/0/0/0.
(4) الضرائب/أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي- بغداد/طبعة العلامة 208/1.
(6) أمالي ابن الشجيري- الشجيري/ أبو المعزات بن الشجيري- بيروت: دار المعرفة للطباعة: 1/0/2.
(7) البحر المحيط: 227/0.
(8) المدرسة المصنوف في علوم الكتاب المكتون/ أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسنين الحلي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دمشق: دار الفيلم: 58/0/0.
(9) الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384- 1964 م. الطبعة الثانية: 1/0/1.
(10) إرشاد العقل السليم: 1/0/1.
فالسِكَّاكِيُّ والذين سبقوه، والذين نحوه، قد قدرة قبل هذه الفاء (سهوة
اسمها فصيحة، أم عاطفة) جملة محدودة، مضمونها سبب لِضمون هذه
المذكورة (1).

وقد عُد العلامَة ابن عاشور طريقة السِكَّاكِيَّ هذه هي المثلى؛ فقال -بعد أن
أبان عن معنى الفاء الفصيحة، وكشف النَّتائج عن نَقيقتها-: "ومعنى فاء الفصيحة
أنها الفاء العاطفة، إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفا على المذكور
قبلها، في حين تقديم معطوف آخر بينهما يكون ما بعد الفاء معطوفا عليه وَهذِه
طريقة السِكَّاكِيَّ فيها وهي المثلى (2).

قلت: لعلَّ سمى هذه الطريقة بسِكَّاكِيَّ، وإن لم يكن أولى مِن قِدر
المحدود معطوف عليه؛ لأنَّ الذين سبقوه إلى هذا التقديم من المقدمين كـالفراء
وغيره لم يسموا هذه الفاء بالفصيحة، كما سمَّاه السِكَّاكِيَّ.

كما عرَّف الزرَكْشَيُّ هذه الفاء بقوله: "هي الفاء العاطفة على الجواب
المحدود (3)" وهو يعني جواب فعل الأمر، أي جواب الطلب، لا جواب الشَرْط كما
قد يتبادر إلى الذهن، فقد استشهد بقوله تعالى (اذِهب إلى القوم الذين كَبَّربوا
بِآياتنا) وقال: تقديره: "اذِهب إلىهم فكَبَّرْنُوا فدَمْرُناهم (4)"، وزاد أبو البقاء
الكوفي في إيضاح نَقيقتها كما مرَّ أن يكون معطوف عليه المحدود سببا
لمعطوف، وأن لا يكون شرطاً.

ترحيب والترور: 518-519
(1) نظر شرح مواهب الفتَّاح لابن يعقوب المغربي: 1/692
(2) البرهان في علوم القرآن / أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزرَكْشَي
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم-بيروت، لبنان: دار المعرفة،1376هـ-1957م- الطبعة الأولى
182/3
(3) نفسه
وقريباً من قول الإمام الطبيبي عن هذه الفاء: "التي تفصل عن محذوف غير شرط، هو سبب لما بعده"(1).

ولم يذكر ابن حجر العسقلاني(852 هـ) في تعرفه قيد الشرط هذا الذي تمت مناقشته في التعرف الأول؛ فقال: "هي الدالة على محذوف قبلها هو سبب لما بعده"(2)

وأما ما ذهب إليه الشيخ خالد الأزهر، في التعرف الثالث بقوله: "وتسمي الفاء العاطفة على مقدّر فصيحة"(3)، فقد أضاف له ابن عاشور كلمة (مطلقًا): فقال: "لك أن تقول إن فاء الفصيحة ما أفصحت عن مقدر مطلقًا"(4).

وهذا يعني أنها تسمى فصيحة على التقدير من غير تحديد، سواء أكان المقدر شرطاً أم معطوفا عليه، وهو ما قاله ابن يعقوب المغربي بعد أن عرض تقدير الشرط، وتقدير الممطوف عليه: "وقيل تسمى بذلك (أي فاء فصيحة) على التقديرين، يعني تقدير الشرط، وتقدير الممطوف عليه"(5) وهذا ما أتعليه أكثر العلماء؛ قال الكفوي: "والقول الأكثر على التقديرين"(6).

وذهب الألوف إلى أن المقدّر قبلها قد يكون أمراً أو نهيًا، أو شرطاً، أو معطوفا عليه، أو قولًا؛ قال: "وتألف عبارة المقدر قبلها، فتارة يكون أمراً أو نهيًا، وتأرة يكون شرطاً كما في قوله تعالى: (فهذا يوم البعث)"(7)، وقول الشاعر:

فقد جئنا خراسانًا ...

---

(1) التبيان في علوم المعاني والبيان والبيان / الطبيبي، تحقيق: هادي عطية الهلالي، بيروت: عالم الكتب، 1981-1987، الطبعة الأولى: 150
(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري/ بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – بيروت: دار المعرفة: 1379، 216/8
(3) شرح التصريح على التوضيح: 186/2
(4) التحرير والتنوير: 556/1
(5) شرح موانع الفاتح: 193/1
(6) الكليات: 266
(7) سورة الروم، الآية: 56
واقعة معطوفًا عليه، كما في قوله تعالى: { فانفجرت }، وقد يصار إلى تقدير القول، كما في القرآن في قوله تعالى: { فقد كتبكم }.

وأيضاً، هذا التعريف الأخير هو الذي أرجحه؛ لأن كل شاهد فيه الفاء الفصيحة ينبغي أن يقترب له المذكور الذي يتناسب مع سياقه، وحتى تقدير فعل الشرط وأداته الذي أدركه أوجيًا قد رضي به تقديرًا في قوله تعالى: { أهبطوا مصراً} فان لكم ما سألت (4) حيث قال: "فإن لكم ما سألت،} هذه الجملة جواب للأمر، كما يجب بالفعل المجزوم، وجري فيه الخلاف الجاري فيه: هل ضمن أهبطوا مصرًا معيًا: إن تهبطوا أو أضرم الشرط وفعله بعد فعل الأمر، كان قال: إن تهبطوا مصراً فان لكم ما سألت (5).

كما قدر حذف الشرط والأداة في قوله تعالى: {قل فلم تقتلون نبياً لله مين} قيل: إن كنت موممين (6)، فقال: التقدير: إن كنت أمنتم بما أنزل عليكم فلم تقتلون أنبياء الله (7).

فتعل عليه الوركشي بقوله: "وهو حسن إلا أن أنى قد كان خالف الزمخشري، وكان قوله بحذف الشرط في: {كتاب عليكم} وفي {فانفجرت} وقال: إن الشرط لا يحذف في غير الأجوبة، والآن قد رجع إلى مواقفه (8)

_____________________

(1) سورة البقرة، الآية 106
(2) سورة القرآن، الآية 199
(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبي المثنائي تفسير الألوسي / شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي - بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ - الطبعة الأولى: 104/6
(4) سورة البقرة، الآية 61
(5) البحر المحيط: 135/1
(6) سورة البقرة، الآية 91
(7) البحر المحيط: 307/1
(8) البرهان في علوم القرآن: 181/3

44
سبب تسميتها بالفصيحية:

لاقتف العلماء على أن الأصل في سبب تسمية هذه الفاء بالفصيحية يعود إلى إفصاحها عن محدود قبلاً، وإن اختلفوا في تقديره بعد ذلك، كما رأينا سابقاً.

وقال الإمام الطيبي: "سميت هذه الفاء فصيحية، للفصاحها عن محدود غير شرط، وهو سبب لما بعده، أو لأنها لا تكاد توجد إلا في كلام فصيح شرطاً كان أولاً".

وهو ما أوجزه بهاء الدين السبكي(٧٦٢هـ) في العبارة التالية: "سميت فصيحية للفصاحها عمداً قبلاً، وقيل: لأنها تدل على فصاحة المتكلم بها(٣) وهي العبارة نفسها التي ذكرها ابن حجر العسقلاني(٤).

وقال الدسوقي: "سميت فصيحية للفصاحها عن الجملة المقيدة قبلها ودلالتها عليها ولهجاتهم أو لأنها لا تدل على المحدود قبلاً إلا عند الفصحى، أو لأنها لا ترد إلا من الفصحى لعدم معرفة غيره بمواردها(٣)".

وحاول الشريف الجرجاني أن يستقصي هذه الأسباب جميعها، وصوغها في هذه العبارة: "سميت فصيحية للفصاحها عن الشرط والسبب، أو للفصاح الكلام الذي دخلت في فيه، أو لظهور المعنى بسبب دخولها، أو جعلها توصف صاحبها، أو لكونها مفيدة معنى بدليلاً، أو واقعة موقعاً حسنة(٥).

مصطلح الفاء الفصيحية:

استخدم الزمخشري(١) صاحب المصطلح مرة "الفاء الفصيحية"، وأجرى "فاء فصيحية" وهو في المرتين يصف الفاء بالفصيح، فالفاء موصوفة، والفصيحية

(١) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان: ١٥٠
(٢) شروح التخخيص: ١٩٨
(٣) ينظر فتح البديع: ٢١٦/٨
(٤) شروح التخخيص: ١٩٩
(٥) حوائج شرح السعد على تصرف العزي: ١٥٠-١٥٧ نقل عن دراسات لأصول القرآن الكريم /
محمد عبد الخالق عضيمة - مصر: مطبعة السعادة، ١٣٩٢ هـ - ق ١٨٠٢ 
(٦) الكشاف: ٥٨٩/٣٢٨٤/٣
الفاء الفصيحة دلالاتها واستعمالاتها وتاريخها وضوابطها

صفة، ولا فرق بين الاستخدامين إلا في التعريف والتكرير، فالفاء عندئذ تفصل عن
المحسوب، سواء أكان هذا المحسوب مسمطا عليه أم شرطا، كما تقرر في قوله
تعالي {فانفرجت} حيث قال: "الفاء متعلقة بمحسوب، أي فاسب فانفرجت، أو فإن
ضربت فقد انفرجت(۱)".

وهو كل من العلماء من استخدم "الفاء الفصيحة" فقط كالكسكالي(۲)، والزركشي(۳)،
وأبي السعد(۴)، واللوسي(۵).

واستخدم ابن كمال باشا "فاء الفصيحة" على الإضافة، والإضافة هنا معنوية
محضة؛ لأن المضاف وهو "فاء" ليس وصفا، والمضاف إليه "الفصيحة" ليس ممولا
لذلك الوصف، والإضافة إذا كانت محضة تكون خالصة من شانة الانفصال، وإذا كانت
معنوية تفيد تعريف المضاف إن كان المضاف إلى معرفة، كما في "فقاء الفصيحة"،
وتخصيصه إن كان نكرة كما في "عذام أمه"، وبالتالي فإن "فقاء النكرة" قد اكتسبت
التعريف من "الفصيحة" المعرفة، فقدت كأنها محلة بـ "ال" فاستوت "فقاء الفصيحة" في
التعريف مع "الفاء الفصيحة".

وأمام ابن عاشور فقد استخدم جميع المصطلحات السابقة، وأضاف إليها مصطلحا
آخر هو "الفاء للفصيحة"(۶)، وهذا يعني أن "الفصيحة" معنى من معاني هذه الفاء، فكما
يقال الفاء للتعبيب، أو للترتيب، أو للسبيبة، يقال أيضا الفاء للفصيحة؛ ولذلك قال
الألوسي عن الفاء في قوله تعالى: (فأهلكناهم بذوبيهم) "الفاء للتعبيب، وقيل: فصيحة(۷).

۱) الكشاف: ۲۸۴/۱
۲) المفتاح: ۱۳۴
۳) البرهان: ۱۸۴/۳
۴) تفسير أبي السعود: ۲۸۷/۲
۵) روح المعاني: ۲۷۰/۶، ۲۷۴/۶، ۳۸۰/۷، ۹۳/۶، ۳۸۰/۷، ۹۳/۶، ۳۸۰/۷
۶) التحرير والتنوير: ۱۰۵/۶، ۱۹۸/۵، ۲۳۷/۶، ۴۰/۵، ۵۵۶/۶، ۹۹/۶
۷) روح المعاني: ۹۵/۶
ومن هنا يتبيّن أنّ الفاء الفصيحة ليست قسمًا من أقسام الفاء، وإنّما هي معنى من معانيها.

تاريخ الفاء الفصيحة:

لعلّ أول من وضع صعبه على هذه الفاء في الشّعر هو الإمام عبد القاهر الجرجاني (١٩٧٠ـ) في قول العبّاس بن الأحنف الذي غدا فيما بعد الشاهد العلم على الفاء الفصيحة، كما قال (١) الإمام الآلوسي، وهو:

قالوا: خُرَاسان أقصى ما يراذينا ... ثم الفقوط فقد جننا خُرَاسانًا

حيث قال الجرجاني: "انظر إلى موضوع الفاء" فيه (٢)، لكنه لم يسمّها، ولم يذكر ما الذي أفسحت عنه، ولكن حسبه هذه الإشارة إلى الفاء الفصيحة في هذا الشّهد الذي ظلّ ينابذ في بابه لا يستشهد عليها بغيره من الشّعر على مدى قرون.

فلما جاء العلامة الزمخشري (٣٣٥ـ) كان قام في إشارة الإمام عبد القاهر إليها مقتنا للتأمل ومثالا للمثال، فنظر إلى موضوعها بعمق، وتأمل في تمامها بخصوصة ثاقبة، وعين فحصاً فسمى هذه الفاء الفصيحة، بعد أن أدرك معناها، وعرف حقيقتها.

وقد صرح الزمخشري بهذا الفاء الفصيحة في موضوعين: اثنين من تفسيره:

• الموضوع الأول: عند تفسير قوله تعالى: { فكَرَهَتْهُمْ } من قوله { أَيْجَبْ احْدَثُكُمْ أَن يأكل لحم أخيه ميتاً فكَرَهَتْهُمْ } فقلت: "معناه: فقد كرهتموه... وفيه معنى الشرط، أي: إن صح هذا فكرهتُوه، وهي الفاء الفصيحة (٣)."

• الموضوع الثاني: عند تفسير قوله تعالى: { فانفجأ } من قوله { وَإِذَا اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقِلْنَا اضْرِبِ بِعَصَاكَ الحِجْرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةً عَينًا ...، } فقال: "الفاء

(١) روح المعاني: ٣٠٥٧٥/١
(٢) ينظّر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني: ٩٠
(٣) الكشف: ٥٨٣/٣

٤٧
معالجة بمجرد، أي فضرب فانجرت أو فإن ضربت فقد انفجرت. وهي على
هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بلغ(1).

ثم جاء الإمام السكاكِي(2) وهو من أئمة النحو والبلاغة، فاستشهد
على هذه الفاء بآيتين من القرآن الكريم، في كتابه مفتاح العلوم(3) الذي ضمّ النحو
والصرف والبلاغة والعروض ومذى خلفه الخطيب القزويني(4) في تلخيص المفتاح(5)، والعلامة شرف الدين الطّيبي(6) في كتابه التبيان في
علم المعاني والبدع والبيان(7)، ثم بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح في
شرح تلخيص المفتاح(8)، وسعد الدين التفتازاني في المطول(9)، وابن يعقوب
المغربي(10) في مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح(11)، والإمام
التسوقي في حاشيته على شرح السعد(8)، إلى غير هؤلاء من علماء البلاغة.

ولم يفت علماء التفسير وعلوم القرآن التثنية بهذه الفاء الفصيحة بعد أن فتح
الإمام ال زمخشري أمامهم الطريق لاحبا، فتحدث عنها الزركشي في كتابه البرهان
في علوم القرآن(12)، والباقي في نظم الدور(13)، والنيسابوري في تفسيره(14).

-----------------------------------------------

(1) الكشف: 284/1
(2) ينظر مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف السكاكِي: 278
(3) ينظر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدع للخطيب القزويني: 123
(4) ينظر التبيان في علم المعاني والبدع والبيان لشرف الدين الطّيبي: 105
(5) ينظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للشيخ بهاء الدين السبكي: 595/1
(6) ينظر المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة سعدالدين التفتازاني: 488
(7) ينظر مثلا: 197/6-193
(8) شروح التلخيص: 194
(9) ينظر البرهان في علوم القرآن للإمام بدرالدين الزركشي: 187/3
(10) ينظر: 144/8
(11) ينظر مثلا: 508/4، 282، 443

48
وأبو السعود في إرشاد العقل السليم المعروف بتفسير أبي السعود (١)، والألواحي في روح المعاني، وسيد طنطاوي في الوسيط، وغيرهم كثير.
ولم أرى من المفسرين السلمي والمحدثين من تتبذ مواضع هذه الفاء في القرآن الكريم، وبين حقائقها، وضع ضوابطها كابن عاشور في تفسيره التحريز والتتويز.
وأما علماء النحو المتقدمون، فمنهم الذين ألفوا في حروف المعاني، فلم أقف على سماها بهذا الأسم، أو خصاها بحديث على حد علمي.
وأول من وجدته قد تحدث عنها، وأكثر من ذكرها هو صاحب المقاصد النحوية أبو محمد، بدر الدين العيني (ت: ٨٤٥ هـ) في كتابه عمدة القاري، حيث ذكرها في أربعة وثلاثين موضوعا.
والشيخ خالد الأزهرى (ت: ٩٠٥ هـ) في كتابه التصريح على التوضيح، ولم أجد أنه قد صرح بها إلا مرة واحدة (١).
ثم جاء الشيخ يس الحمصى (ت: ٨٦١ هـ) فأضاف في حاشيته على ما قاله الأزهرى شيئا ما في التلخيص للفروزي، والمطوّل للتفسيراتى (٢).
وأما عبد القادر بن عمر البغدادى (ت: ٩٣٣ هـ) فقد ذكرها في خزانة الأدب في موضوعين اثنين (٣).
وخير من تحدث عنها بعد ذلك هو أبو البقاء أصحاب الكفوي (ت: ٩٤٩ هـ) في كتابه الكليات، وهو معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (٤).

١) ينظر مثلا: ٦٠/١ و ٦٦/٢ و ١٤٨/٦ و ٢٨٧/٦

٢) شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى، تحقيق محمد باسل عيون

٣) نشره الشيخ يس على شرح التصريح على التوضيح، وينظر التلخيص، ١٩١٨-٢٠١٥

٤) ص: ٢١٦، ٢٩٠

٥) الكليات: ١٨٧ же
كما ذكرها أبو العزازان محمد بن علي الصبَّان (ت 1260 هـ) في حاشيته على الأشعري أربع مرات (١).

وبقي الأمر كذلك إلى أن أليف في العصر الحديث الشيخ محمد عبد الخالق عضيلة موسوعته "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" فذكر شيئا مما قاله الكفاف، وسائقت بعض الآيات التي وردت فيها النحو الفصيح، فلفت انتباه المهتمين بالنحو وقضايا من المعاصرين، فقامت مباحثات من تحدث عنها إما مقتضبة، وإما تحتاج إلى تحرير، كما في معجم النحو لعبدالغني النقر (٢)، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية لـ محمد سمير نجيب الليدي (٣)، والحاشية العصرية على شرح شذور الذهاب للدكتور عبد الكريم الأسعد (٤)، وفي النحو العربي للدكتور عبد الحميد مصطفى السيد، والدكتورة لطيفة إبراهيم النجار (٥)، والفائت في النحو العربي والقرآن الكريم للدكتور شرف الدين الراجحي (٦).

ول لا يعني في هذا المقام الإحصاء الدقيق لمكون كتبها يقدر ما يعني تسليط الأضواء عليها، وعلى المدارس النحوية والبلاغية والتفسيرية التي عنيت بها عبر العصور.


(٣) معجم المصطلحات النحوية والصرفية / محمد سمير نجيب الليدي - مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ - الطبعة الأولى: ١٧١، ١٧٢.

(٤) الحاشية العصرية على شرح شذور الذهاب / د. عبد الكريم الأسعد - الرياض : دار الشواف، ١٤١٦ هـ - ١٣٥٦/٤، وما بعدها.

(٥) في النحو العربي: ٢٨٣.

(٦) الفائت في النحو العربي والقرآن الكريم: ١٣٠ وما بعدها.
كتب المعاني والفاء الفصيحة:

قال المرادي: "أوصول أقسام الفاء ثلاثة: عاطفة، وجوابية، وزائدة، ثم تحدث عن كل قسم منها بالتفصيل. والجوابي الغريب أنه لم يشير إلى هذه الفاء الفصيحة، لا من قريب ولا من بعيد، كما أن غيره ممن صنفوا في حروف المعاني تجاهوها أيضا، كما تجاهمتها كتب النحو الأخرى التي ألقت قبلا الراشدي، وأمكنني الرجوع إليها. فما سر ذلك يا ترى؟

لا أستطيع أن أقدم إجابة قاطعة على هذا السؤال، ولكنني سأحاول طرح بعض الاحتمالات الممكنة والمنطقية التي قد تساعد على معرفة الحقيقة، أو على الأقل تستدعي غيري ممن له الرغبة مثلي في الوقوف على الجواب الصحيح يوماً ما. ويمكنني أن أوجز هذه الاحتمالات في النقاط الآتية:

الأولى وهي الأهم - أن الفاء الفصيحة لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرها المرادي وغيره، فإذا كانت هي الفاء العاطفة على الجواب المحذوف، كما عرفتها الزركشي، أو هي العاطفة على مقدر، كما عرفتها الأزهرى، فهي في النهاية عاطفة، والعطف هو القسم الأول من أقسامها وإذا كانت واقعة في جواب شرت مقدر فهي جزئية، رابطة للجواب تعود إلى القسم الثاني من أقسامها. وأما القسم الثالث منها، وهو أن تكون زائدة، فقد توصل أحد الباحثين المعاصرين إلى أن كل مبتدا حمل في معناه إشارة ولو بعيدة إلى الشرط جاز في خبره اقتراحه بإلغاء الزائدة التي تسمى الفاء الفصيحة، عندن، وجعل من ذلك الفاء التي في قوله تعالى: (و ما أصابكم يوم النفيizu20091349981ى الجمعان فبإذن الله) (1)، وقوله: (والقواعد من النساء

(1) هو الدكتور عبد الكريم الأسعد في كتابه الحاشية المصرية على شرح شدور الذهب: 662/1
(2) سورة آل عمران، الآية 166
اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهنّ جناح(1)، وكذلك الفاء التي في نحوها: "وَللهِ إِذَا
درست فسوف تنجح" و"كلّ نعمة فمن الله"، و"ما لديك من نعمة فمن الله".
ولا أフォーه على رأيه هذا؛ لأنه لم يقل بهذا أحد من قبل، ولا يعيبني قوله بزيادة الفاء في
القرآن الكريم، ولا أرى في هذا الخلط بين أنواع الفاء فائدة تذكر.
2 أن أول من أطلق عليها هذا المصطلح -على حد علمي- هو جار الله الزمخشري في
تفسيره الكشاف، الذي لم يرد فيه التصريح بها إلا مرتين اثنتين. وهو نفسه لم يذكر هذا
العابد في كتابه المختص بالنحو كالمفصل مثلا، فلا غرابة إذا تجاهلته الكتب التي
ألفت بعده في معاني الحروف، ككتاب رصيف المباني للمالكي، والجني الثاني للمرادي،
ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري.
بالإضافة إلى هذا فإن أباهي الأندلسي قد ضعّف تقدير الزمخشري في الموضوع الذي
ذكر فيه هذه الفاء، وتحال عليه في أكثر من موضع من كتابه البحر المحيط؛ فاتهم
تقديره بالفساد، وعدم التناسب مع الآية تارة(2)، ووضعه بعدم فهمه للعربية أخرى(3).
وعد قوله من أقوال ضعاف النحويين حيناً(4)، وعيرته بأنه عجمي ضعيف في النحو، لا
يصح أن يرد على عربي صريح محض حيناً آخر(5).
وإذا كنت لا أフォー أباهي على تحامله هذا؛ لأن الزمخشري إمام من أئمة
النحو والعربيّة والتفسير، سواء اتقنا معه أم خلفنا. فإني لا أستبعد أن يكون قد
أثر بكلامه في بعض من تنتمى على يديه، أو أخذه عليه، كالمرازي، وابن هشام
الأنصاري، على الرغم من أن هذا الأخير كان كثير المخالفة لشيخه أبي حييّان،
شيء الأنحراف عنه.

1 سورة التّور، الآية 60
2 البحر المحيط: 228/1
3 نفسه: 148/8
4 نفسه: 212/8
5 نفسه: 230/4
3) كانت الإشارة الأولى إلى أهمية هذه الفاء وحسن موضعها شعراً في قول الشاعر:
قالوا: خُرَاسانُ أقصى ما يُراد بنيا. تَمْ التقول فقد جَينا خُرَاسانًا
قد صدرت عن إمام البلاغة وشيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلال
الإعجاز كما مر معنا ولعل الزُّمخشري قد أفاد من تلك الإشارة فأطلق على هذه
الفاء مصطلح الفاء الفصيحة، فاقترح هذا المصطلح الإمام السكائي عمدة
البلاغيين المتاخرين، ومنه شاعر في كتاب البلاغة، فصار معروفاً على أرباب
المعاني حتى قيل: "هذه الفاء العاطفة على الجواب المحدود يسمى أرباب
المعاني الفاء الفصيحة"(1) فكان هذه التسمية قد أصبحت خاصيةً بهم، والمصطلح
إذا استقر في علم ما، وشاع بين أهله وذويه ليس من السهل ان ينتقل إلى غيرهم.

شروط الفاء الفصيحة:
حاول الكفوين أن يضع لهذه الفاء الفصيحة شروط وضوابط تعرف بها، بعد
أن عرقتها بقوله: "هي التي يحذف فيها المعطوف عليه، مع كونه سبباً للمعطوف
من غير تقدير حرف الشرط، فبدا يخرج منها ما ليس منها، ويمكنها من غيرها،
ويضع الفواصل، ويرسم الحدود لكل نوع من الفاءات؛ فقال: "ولا تسوي فصيحة
إذ لم يحذف المعطوف عليه، بل إن كان سبباً للمعطوف تسمى فاء التسبب،
وإلا تسوي فاء التعقيب. وإن كان محذوفاً ولا يكون سبباً لا تسمى فصيحة أيضاً،
بل تسمى ترفيعة وأصح أن لا فرق بين الفصيحة والترفيعية. ثم التفريق قد
يكون تفريق السبب على المسبب، وتفريق اللازم على الملزوم أيضاً. وإن كان
المعطوف شرطاً لا تسمى فصيحة أيضاً، بل تسمى جزائية سواء حذف المعطوف
عليه أم لم يحذف" فقد جعل شرطها الأولى حذف المعطوف عليه، وشرطها الثاني
أن يكون هذا المعطوف عليه المحدود سبباً للمعطوف المذكور، ولا بد أن يتحقق

(1) الكشكول محمد بهاء الدين العاملي، بيروت: دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة،
1433 هـ - 1983 م - الطبعة الأولى: 320
53
الشرطان معاً، فإن لم يحدد المعطوف عليه، فالفاء ليست فصيحة، ولو كان سبباً للمعطوب، وإنما تكون في هذه الحالة سبيبة، لذا قال: "يَلْقَ يُ كَانُ سَبِيْباً للمعطوب تسمى فَاء التَّقَيْبٍ" لأن المعطوب عليه مذكور، وهو سبب للمعطوب؛ وإلا تسمى فَاء التَّقَيْبِ" أي إن كان المعطوب عليه مذكوراً، ولم يكن سبباً للمعطوب، بل كان مقتضاً به، بلا مهلة، فالفاء حينئذ فَاء التَّقَيْبِ. وأما إن كان المعطوب عليه محدوفاً، لكنه ليس سبباً للمعطوب، فالفاء عند هذه التَّقَيْبِية؛ لذلك قال:

وإن كان محدوفاً ولم يكن سبباً لا تسمى فصيحة أيضاً، بل تسمى تَفرِعْيَةً.

ثم قسم التَّفَرِعْيَة إلى قسمين:

1- تَفَرِعْيَة السبب على المسبِّب.

2- تَفَرِعْيَة اللازم على الملزم.

حيث قال: "ثم التَّفَرِعْيَة قد يكون تَفَرِعْيَة السبب على المسبب، وتَفَرِعْيَة اللازم على الملزم أيضاً، ثمَّ انتهى إلى الشَّرْط الثالث، وهو أن لا تكون الجملة شرطية، وقد ناقشنا هذا الشَّرْط من قبل عند تَفَرِعْيَة. وهذا الشَّرْط هو القيمة الأخير الذي ذكره في تَفَرِعْيَة، لما قال: "من غير تقدير حرف الشَّرْط لأنه يرى أن الفاء في جملة الشَّرْط ليست فصيحة، ولو كان المعطوب عليه محدوفاً، وإنما هي فاء الجزء وهذا ما أوضحه بقوله: "إن كان المعطوب شرطاً لا تسمى فصيحة أيضاً، بل تسمى جزائية، سواء حذف المعطوب عليه أم لم يحذف.

وما ذهب إليه من أن الفاء الفصيحة في الفاء التَّفَرِعْيَة، قد تابعه عليه الشَّيخ عضيمة، فقال: "والصَّحِيح أنه لا فرق بين فاء الفصيحة والفاء التَّفَرِعْيَة(1)

(1) دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 28412

54
لكن ابن كمال باشر فرق بينهما، فجعل الفاء التفرعيّة هي الفاء السببيّة التي يكون ما بعدها سبيبا لما قبلها، وأما الفاء الفصيحة فقد اشترط لها أن يكون ما قبل الفاء شرطا مقترا، وليس مذكورا؛ فقال: "الفاء السببيّة هي الفاء الدالة على سببيّة ما قبلها لما بعدها وتكلف الفاء لا تدخل إلا على الجزاء المسبق بالشرط مذكورا أو مقترا وتطلق فاء السببيّة على فاء يكون ما بعدها سبيبا لما قبلها، وقد تسمى الفاء فاء التفرع، وإذا كان ما قبل الفاء شرطا مقترا لما بعدها المذكور تسمى فاء الفصيحة(١) "وهو يرى أن الفاء التفرعيّة أعظم وأشمل من الفاء الفصيحة، وإن كانت كلاهما تطلق على الفاء السببيّة عندنا.

وهناك فئات كثيرة في القرآن الكريم قال عنها المفسرون إنها محتملة أن تكون تفرعيّة على تأويل، وفصيحة على تأويل آخر، وهو ما يؤكّد الفرق الذي بينهما ومثال ذلك الفاء التي في قوله تعالى: ( بل أتيتاه بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون(٢).) حيث قال ابن عاشور: "الفاء لتفريع إعراضهم على الإتيان بالذكر إليهم، أي فتفرع على الإرسال إليهم بالذكر إعراضهم عنه، والمعنى: أرسلنا إليهم القرآن ليذكره.

وقيل: إضافة الذكر إلى ضمير "هم" معنوية، أي الذكر الذي سلواه حين كانوا يقولون: "ولو أن عندنا ذكرا من الأولين لكناعبا الله المخلصين(٣) فيكون الذكر على هذا مصدرًا معنى الفاعل أي ما يذكرون به، والفاء على هذاوجه ففاء فصيحة أي: فها قد أعطيناهم كتابا فأعرضوا عن ذكرهم الذي سلواه...

(1) أسرار النحو: ٢٨٨
(2) سورة المؤمنون، الآية ٧١
(3) سورة الصلاة، الآية ١٦٨، ١٦٩
(4) التحرير والتنوير: ٩٥/١٨
وقد أضاف العلامة ابن عاشور ضابطا آخر دقيقاً تعرف به الفاء الفصيحة.
فقال: "واعتقدي أن الفاء لا تعد فاء فصيحة إلا إذا لم يستم عطف ما بعدها على ما قبلها، فإذا استقام فهي الفاء العاطفة، والحذف إيجاز، والتقدير المحدود لبيان المعنى (1)."

حذف الفاء الفصيحة:
إذا كانت هذه الفاء هي التي تفصح عن المحدود وتدل عليه، فهل يؤجاز حذفها؟
وما الدليل على حذفها؟ ومتى حذفه؟ وينتهي إلى ما قبل هذه الفاء الفصيحة تبين لي أن علماء العرب يقولون بجوز حذفها في موضعين أثنين:
أحدهما: حذف لا يقوم عليه دليل، وهو غير مقبول في نظر الكثيرين، لأن فيه تكراماً.
وثانيهما: حذف لدليل، وهو مستساغ ومقبول إذا أمن اللبس (2).

الحذف غير دليل:
ذهب بعضهم (3) إلى أن الفاء في مثل قوله تعالى: (أن اضرب بعصاك البحر) والانقلق (4)، هي الفاء التي تكون في المعطوف عليه، وهي هنا الفاء التي كانت في "ضرب" المفتوح، ولكن التعديل: فضرب فانقلق.
وأمّا المتصلة بـ"انقلق" محمولة، وهي المسمى بالفاء الفصيحة، فأبقى في كل ما يدل على المحدود، أبقى الفاء من "ضرب"، واتصلت بـ"انقلق" لتدل على ضرب المحدود، وعلي (انقلق) ليدل على الفاء الفصيحة المحدودة منه.
وقدنسب هذا الرأي إلى ابن عصفور (1) والأبرزه في تهجمه اللوسي وتطاوله قائله- بعد أن نسبه إلى ابن عصفور - فقال: "وزعم ابن عصفور في مثل

(1) التحرير والتثوير: 519/1
(2) الكشكول: 320
(3) البرهان في علوم القرآن: 182/3
(4) سورة الشعراء، الآية 123
هذا التركيب أن المدح هو: (ضرب).، وفاء (انفقلا).، وفاء الموجودة هي فاء (ضرب).، وهذا أشبه شيء بلغي العصافير وكأنه كان سكران حين قاله(1).، وما في كتاب المقرّب لابن عصفور يدحض ما نسبوه إليه.، وهذا نصه: "وحذف حرف العطف، والمعطوف عليه، فحذف "ضرب" والفاء الداخلة عليه(2).، وعلى أي حال فإن هذا الرأي فيه تكلّف وتخريص على العرب بغير دليل؛ كما قال أبوحيان ثم علّل ذلك بقوله: "الآن قد ثبت في لسان العرب حذف المعطوف عليه وفيه القاء، حيث لا معطوف بالفاء موجود، كما في قوله تعالى: { فأرسلون يوسف أيها الصديق}(3) والتقدير: فأرسلوه فقال: فحذف المعطوف عليه والمعطوف، وإذا جاز حذفهما معاً، فإنّي يجوز حذف كل منها وحدها أولى(4) .،

الثاني: الحذف لدليل:

ليس هذا الأمر مقصرًا على حذف النداء الفصيحة، ولا على معطوفها، وإنما هو قاعدة كلّية في النحو العربي يمكّن أن تدرج هذه المسألة تحتها وقد سبق لاين مالك أن نظمها في ألفيته، فقال:

وحذف ما يُذمّل جائزَ ...

..............

أي أن الحذف عامّة في العربيّة يجوز إذا علم بالقربة، ودل على ذلك دليل، كما في قوله تعالى: {قللنا ضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى}(5)، حيث قال السكالي: "ليس يقيد: فضربوه فهي قالنا كذلك يحيي الله الموتى(6).،

(1) ينظر البهرين في علوم القرآن: 38/2، والأبحر المحيط والدرّ المصون: 1/385
(2) روح المعاني: 19/86
(3) المقرّب: 1/258
(4) سورة يوسف، الآية 46
(5) البحر المحيط: 1/228، وينظر البهرين في علوم القرآن: 3/186
(6) سورة البقرة، الآية 32
(7) المفتاح: 1/134

57
قلت: بلني، يُفْتَدِيَنَّ كَذَلِكَ؛ لَوْنَّ هَذِكَ قَالَكَ مَحْذُوفًا يَتْلُو عَلَيْهِ سِياقَ الْكَلَامِ، وَلَوْا حَذَفَهُ للْعَالِمِ بِهِ لُوْرَدٍ بِهِ النَّصِّ؛ لَوْنَّ مَا بَعْدَ "كَذَلِكَ" لَا يَصِلَّ لْأَنْ يَكُونُ مَعْطُوفًا عَلَى المَذْكُورِ قَبْلَهُ، لَكِي يُتَعْقِلِنَّ تَقْدِيرَ مَعْطُوفٍ أَخْرَيٍّ بَيْنِهِمَا فِي النَّافِعِ الْفَصِيحَةِ.

قال أبو السعود: "كَذَلِكَ يَحْبِي اللَّهِ الْمُوَّتِيَّةَ عَلَى إِرَاءَةِ مَعْطُوفِ عَلَى مَقْدَرٍ يَنْسَحِبُ عَلَى الْكَلَامِ، أَيْ فَضْرَبُوهُ فَحْيِيَ وَقَلْنَا كَذَلِكَ يَحْبِي الخَّ، فَحَذَفَتِ النَّافِعِ الْفَصِيحَةِ فِي فَحْيِيَ

مع ما عُطِفَ بها وَمَا عُطِفَ هو عَلَى دُلْلَةٍ كَذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ (1).

وَهَذَا نَمْ ذَهَبَ إِلَى جِوَابِ حَذْفِهِ مَعَ بِقَاءِ الْبَاوَأِ لِلْدُلْلَةِ عَلَيْهَا، وَعَلَى

الْمَعْطُوفِ عَلَى الْمَحْذُوفِ مَعَهَا، وَاكْتُفِي بِذَلِكَ، دُونَ أَنْ يَسْمَى هذَا الْبَاوَأِ بَاسْمٍ جُدِّي، غَيْرَ أَنَّ هَذَا أَخْرَيَنَ أَطْلَقْوَا عَلَى هذَا الْبَاوَأِ الْبَاقِيَةَ بَعْدَ حَذَفِ الْفَصِيحَةِ أَسْمَ الْبَاوَأِ الْفَصِيحَةِ، وَلْيَلْدَ أَعْلَى عَمَلَهُ بِالْبَاوَأِ فِي بَعْض

الْخَصَائِصِ، كَذَلِكَ هُمَا عَلَى الْعَطِفِ، وَجِوَابَ حَذْفِهِ مَعَ مَعْطُوفِهَا لَدُلْلَهَ وَجِوَابَ حَذْفِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ بَيْهَا (2).

وَمَنْ هَذَا قَالَ الرُّمَّخَشِرِيَّ فِي قُوَّةِ تَعَالِيَ "وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوْدٍ وَسَلَّمْ يَا عَلَمًا وَقَالَاهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَلَّنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (3)".; قَالَ قَلْتُ: أَلَّيْسَ هَذَا

مُوْضِعُ الْفَاءِ دَوْنَ الْبَاوَأِ، كَفْوَلُكَ إِنْ أَعْتَبَتْ فِشْكَرَةً، وَمَنْهَتْهُ فِصْبَرَةً؟ قَلْتُ: بَلِي،

وَلَكِنْ عُطِفَهُ بِالْبَاوَأِ أَهْبَأَ فَإِنْ ما قَالَهُ بَعْضُهُ أَحْدَثَ مَا أَحْدَثَ فِيهَا إِبْتَاءَ الْعَلَمِ وَشَيْءٌ مِنْ

مَوَاجِهِ، فَأَضَمَّ ذَلِكَ تَبَعْضَهُ عَلَيْهِ الْتَحْمِيمِ، كَانَ قَالَ: وَلَقَدْ أَتَيْنَا هُمَا عَلَى فَعْلَهَا

بَيْهَا وَعَلَّمَهَا وَعَرَفَهَا حَقِّ النَّعْمَةِ فِيهَا فَفَصِيْلَةً { وَقَالَاهَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَلَّنَا }.

فَقَالَ الْأَلْوَسِيُّ مَعْقِبًا عَلَى قُوَّةِ بَعْضٍ بَعْضٌ هَذَا ذَهَبَ إِلَى تَسْمِيَةِ هَذَا الْبَاوَأ

بَيْهَا (4).

(1) تَقْسِيْرُ أَبِي الْسَّعُودِ: ١١٤/١٧٤ وَ(٢) شَرَحُ الْتَصْرِيحِ عَلَى الْتَوْضِيحِ: ١٨٦/٢ وَوَ(٣) سُورَةُ الْنَّسْلِ، الآيَةِ: ١٥٠ وَ(٤) يَنْظُرُ رَوْحُ الْمَعْنَايِ: ١٧٠/١٩

٥٨
وفي قوله تعالى: (واتت كل واحدة منهن سكينة) 
قال الالوسي: "وفي الآية على سائر القراءات حذف أي فجئن وجلسن واتت كل واحدة منهن سكينة" وهو يعني حذف الفاء الفصيحة في: فجئن وما عطف بها وما عطف هو عليه، لدلالة الواو على ذلك.
ثم أورد لبعض المحققين رأياً لم يستبعد فيه تسمية هذه الواو التي دلت على هذا المحفوف المقدر بالواو الفصيحة، فقال: "قال بعض المحققين: لا يبعد أن تسمى هذه الواو فصيحة".
وفي قوله تعالى: (وافتحوا وخاب كل جبار عنيد) 
قال الالوسي: "وفي الكلام إجاز الحذف بحذف الفاء الفصيحة والمعطوف عليه، أي استفتحوا ففتح لهم وظفروا بما سألوا وأفحلوا وخاب كل جبار عنيد".
وفي قوله تعالى: (ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) قال أبو البقاعة الكفوي: "والواو في قوله تعالى: (ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) تسمى فصيحة".
لأن التقدير، والله أعلم: يوم ينظر الفاء ماقدمة يداه فيسر المؤمن، ويحزن الكافر ويقول: يا ليتني كنت تراباً.

(1) سورة يوسف، الآية ٣١
(2) روح المعاني: ٢٦٨/١٢
(3) نفسه
(4) سورة إبراهيم، الآية ١٤
(5) روح المعاني: ٢٠١/١٣
(6) سورة النبأ، الآية ٤٠
(7) الكلمات: ٦٧٦
نتائج البحث:

بعد هذا التطور مع الفاء الفصيحة، خرج البحث للنتائج الآتية:

1- الفاء الفصيحة لها تعريفات كثيرة، والتعريف الأول بالترجيح عندي هي تلك التي تفصّل عن مقدّر مطلق، سواء أكان معطوفا عليه، أم شرطاً.

2- سبيّت هذه الفاء فصيحة؛ للفتحاحها عن محدد مقدر، أو لفصاحات الكلام الذي دخلت هي فيه، أو لظهور المعنى بسبب دخولها، أو لأنها تدل على فصاحة المتكلم بها ووصفت بالفصاحات على الإسناد المجازي، أو لكونها مفيدة معنى بديعاً، أو واقعةً موقعاً حسنةًا، أو لأنها لا تدل على المحتوى قبلها إلا عند الفصيح، أو لأنها لا ترد إلا من الفصيح لعدم معرفة غيره بمواردها.

3- أول من استخدم مصطلح الفاء الفصيحة-على حد علمي- هو جار الله الزمخشري، ومنه انتقل إلى كتب التفسير، وكتب البلاغة، وكتب النحو.

4- لم يقف البحث على هذا المصطلح في كتب حروف المعاني أليّة، وقد حاول أن يقدم تفسيرا لهذه الظاهرة.

5- تتبع البحث تاريخ هذا المصطلح وشيطه بين أرباب المعاني والمنسرين، والنحاة، فظهر أنه لم يستخدم عند النحاة إلا في العصور المتاخرة.

6- أثبت البحث أن الفاء الفصيحة ليست فصلاً من أقسام الفاء، وإنما هي نفسها الفاء العاطفة، أو الفاء الواقعة في جواب الشرط، اللتين يذكرهما النحاة، ومما مصطلح الفصيحة إلا معنىً من معانيها، فكما ترد الفاء العاطفة للتعقيب، أو للترتيب، أو للسريعة، ترد أيضاً للفصيحة.

7- توصل البحث إلى أهم شروط الفاء الفصيحة، وضوابطها التي ذكرها العلماء، وهي:

1- حذف ما قبل الفاء الفصيحة.

2- أن يكون المحتوى سبباً للمذكور.
3- أن لا تكون الجملة المحرفة شرطية، عند بعضهم ولم يعتن الباحث بهذا الشرط، ورأى أن المحذوف قد يكون معطوفاً عليه، فتكون الفاء عاطفية، وقد يكون المحذوف فعل الشرط وأداته، فتكون الفاء رابطة للجواب والفاء على الوجهين تسمى فصيحة.

4- أن لا يستقيم عطف ما بعدها على ما قبلها، فإذا استقام فهي الفاء العاطفية، والحذف إيجاز، وتقدير المحذوف ليبيان المعنى.

8- تحدث البحث عن حذف الفاء الفصيحة أحيانا لقرينة أو دليل، وأنكر القول بيدفها لغير دليل، وقندما نسب إلى ابن عصفور من ذلك.
The Standard Faa Its semantic, Usages, Etymology, and Rules

Asst. Prof. D.r.Abdulaziz S.Al- Jeel

Abstract

The current paper deals with the standard letter (Faa). It is mentions in interpretation books, explanations of prophetic traditions, rhetoric and syntactic books. What has been mentioned here there searted in there books is not enough as am attar for systemic study.

This study tines to collect these information in a scientific way.